



نحو الساعة الثالثة عندما صاح سيدنا بصوت عظيم وباللغة العبرية عبارته الرابعة : يا الهي، لماذا تركتني؟ وكان يقصد خاصة، الهالكين الذين كان انفصالهم عنه بعد تكبده جميع هذه العذابات المقدمة من اجلهم، شاقاً للغاية في هذه اللحظة، كما كان في بستان الزيتون.

وكشهادة لهذا الشعور أضاف حالاً عبارته الخامسة : أنا عطشان. كان من الممكن، دون شك أن تسبب له أوجاع الألام عطشاً طبيعياً، ولكن تلك لم تكن الحالة التي تروي غليله، فقد كان متعطشاً لخالص النفوس. وقد فهمت ذلك أمه القديسة وحدها. أما الجلادون فقد فهموها بالمعنى الطبيعي وتتميماً لنبوذة داود قَدَمُوا له بسخرية بطرف قصبية، اسفنجة مغطسة بالمرارة والخل، فشرب منها قليلاً ليبيّن لنا انه يتحمل نصيب الهالكين ولكن توقف عن الشرب تلبية لطلب أمه الحنون.

ولفظ بعدئذٍ سراً عبارته السادسة : لقد انتهى، أي لقد أتممت فداء العالم والنبؤات وجميع فصول العهد القديم، مدة حياتي العابرة. وللحال قال عبارته السابعة رافعاً عينيه نحو السماء: يا ابتي في يديك استودع روحي، أي : منك خرجت لأخذ حياة فانية وأعود إليك تاركاً إياها. وبعد الكلمة الأخيرة، حنى رأسه من جديد واسلم الروح.

ولكن ألم يحن الوقت للرجوع إلى العذراء الكلية القداسة؟ لقد كانت واقفة قرب الصليب رابطة الجأش وكان يمرُّ في ذهنها عمق معرفة أسرار الفداء فتتأمل التألف الذي كانت تعمل به الحكمة الإلهية. وبقدر ما كانت ترى إحساناته الواسعة بقدر ما كانت تتألم من الجود البشري الذي ينتظره. وهذا كان ألمها الأكبر.

ولكن هذا الألم لم يمنعها من الاهتمام بدفن ابنها القدوس بعناية فائقة. ووسط الارتباك حيث شاء الله أن يتركها فيه دفعها تواضعها إلى أن تستنجد بالملائكة، فهي ملكتهم. أجابها الملائكة: فليكن قلبك مستعداً لأن يتألم أكثر أيضاً. أن الشريعة تقضي بان لا يُنزل المصلوبون عن الخشبة إلا بأذن الحاكم، وزيادة على

